

فلو ترك هؤلاء الناس من غير علاج لقتلوا في عمى البصر سنين كثيرة او ماتوا عمياً .  
وهنا ما يؤيد ذلك امرأة جاءت نستشيرني في تنهام وعمرها ستون سنة مضى عليها كفيته  
ثلاثون سنة ولدت في اثنا عشر ثلاثة اولاد لم ترَ احداً منهم . اصببت وهي في الثلاثين من  
عمرها بالالتهاب الشبي القرصي في عينيها كاتيهما وشفيت من هذا الالتهاب بالمعالجة لكن  
بقي منه اثرٌ في عينيها . ثم عاودها فزاد ضعف عينيها الى ان كفَّ بصرها تماماً وهي على ثروة  
طائلة فمضت الى بلدان اوروبا تستشير اشهر اطباء العيون فيها وبقيت على ذلك الى ان اتت  
الي وكانت حدقتا عينيها قد صارتا نقطتين صغيرتين تسدهما اللفا سداً تاماً فاستخرجت  
البلوريتين وصنعت لها حدقة صناعية في عينيها اليسرى وهي الآن تقرأ وتكتب بسهولة  
وهنا رجل آخر لما رأيتُه كان قد مضى عليه اربعون سنة وهو اعشى فوجدت حدقتي عيني  
مسدودتين بمادة كلسية فزالتهما منهما وصنعت له حدقة صناعية في عيني اليسرى وهو يرى بها  
الآن جيداً وقرأ ويكتب ويجول مثل غيره من المبصرين  
هذه خلاصة الخطبة وكان الخطيب احيا بها صناعة العرب في طب العيون كما سنبينه  
في فرصة اخرى واثبت ما كان يقول عليه الاطباء والدجالون في هذا القطر والقطر السوري  
كما يتذكره الكهول

## الطاعون

مذكرة للسيد بن الشيخ مدير مصلحة الصحة ملحقة بتقرير الموردي كرومر

اول اشارة عن حدوث الطاعون في بورت سعيد بلغت ادارة الصحة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠  
وفي اليوم التالي قام المداير غرام الى بورت سعيد ومعه الدكتور بنو بكتير يولوجي المصلحة  
للبحث عن الحادثة المنتبه بها واتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الوباء اذا ثبت ان الحادثة منه .  
وزال كل شك بنسج الرمة وبالبحث بكتير يولوجياً في حادثة اخرى كانت في المستشفى الاميري  
ثبتت ان المرض هو الطاعون الدبلي بعينه ثم ثبت انه حدثت حوادث اخرى قبل هاتين  
الحادثتين كما سيبي

والاثنان المشار اليهما كانا يسكنان غرقاً في البناء الكبير الذي فيه الالدرادو وراء شارع  
التجارة على مقربة من الرصيف احدهما يوناني والآخر سوري . ووجد لدى البحث ان امرأة  
توفيت في ذلك البناء في ٢٩ ابريل باعراض انفص الان انها اعراض الطاعون وقيل ايضاً

ان إيطاليا مات بمثل هذه الاعراض في ٢٧ ابريل في بيت قريب من ذلك البناء ويونانياً توفي في ٢٣ ابريل وكان ساكناً في حي العرب ويونانياً آخر توفي في ٢٠ ابريل وكان ساكناً قرب الالدرادو . وقد شخّص الاطباء الاوريون الذين عالجوهم انهم ماتوا بالانفلونزا المصحوبة بالفمغمون او الانفلونزا المصحوبة بالتهاب سحايا الدماغ ولكن ثبت بالبحث حينئذ ان مرضهم كان الطاعون وانهم ماتوا به ولذلك فالطاعون ظهر في بورت سعيد من قبل ذلك الحين ثم ثبت ان يونانياً مات في الطاعون في حي الافرنج في ٥ ابريل وعلقت حوادث اخرى قبلها حتى شهر مارس يظهر من وصفها ما يدعو الى الترجيح بانها كانت من الطاعون . ثم ان سرعة انتشار الوباء في الاسبوع الاول من شهر مايو وظهوره في كل اقسام حي الوطنيين يدلان على انه كان في المدينة قبل ان بلغ خبره ادارة الصحة بزم من طويل

كتب المستر غراهم ما يأتي

” لما وصلت الى بورت سعيد كان قد دخل المستشفى اثنان من حي العرب وفي اليوم التالي ( وهو ٢ مايو ) أخبرنا عن اثنين آخرين في جهتين مختلفتين من احياء الوطنيين . وفي ٣ مايو توفي شخص بالطاعون في حي العرب وحدثت حادثة اخرى في اليوم الخامس . وفي اليوم السادس دخل المستشفى وطبقيان واوربي وفي اليوم السابع اصيب وطبي من حي الوطنيين ”

” ثبت حالاً ان العدوى منتشرة في المدينة كلها وان امامنا واقعة لها حاتان الصفتان ”

” الاولى انها الطاعون الدبلي نفسه ”

” والثانية انها منتشرة انتشاراً كلياً في كل القسم الوطني من المدينة وانتشاراً جزئياً ”

في القسم الاوربي

” ولذلك رأينا ان لا بد لنا من اطباء واناس خبيرين بعملية التطهير والتهوية من العمال يقسم فرقا ويوزع في احياء المدينة لاجراء التدابير اللازمة لمقاومة الوباء التي اجريتها في الاسكندرية وهو لاء لم نجد في بورت سعيد فاتي من الاسكندرية باناس خبيرين بالتطهير وباناس يديرون العمل واستخدمنا عمالاً من بورت سعيد

” وفضلنا جانباً كبيراً من المستشفى الاميري وخصصناه بالمصابين من الوطنيين . اما الاوربيون المصابون فعولوا كلهم ما عدا اربعة في المستشفى الاميري في قسم الامراض المعدية الى ان اعدت مستشفياتهم الخصوصية . وقد اصبتا في ما عملنا لانتا وجدناه اسهل من اعداد بناء خاص بعيد عن المدينة

” ورأينا في اول الامر ان الاهالي يكرهون ان يؤخذ مرضاهم الى المستشفى وقد قارموا

عَمَّال الحكومة أكثر من مرة وانلقوا امتعة الحكومة واضروا احياناً برجالها . وقد أزيلت هذه الكراهة بان طُلب من وجوه المدينة فصينوا فرقاً من العواد حسب درجات الاحالي وكانت كل فرقة تزور المستشفى وترى المصابين الذين قاربوا الشفاء فيخبروها بما لقوا من حسن المعاملة والخدمة حتى ترجع وتخبر اقاربهم بذلك . وكانت النتيجة ان كثيرين جاءوا بعد ذلك من انفسهم ودخلوا المستشفى وان البعض اخبروا الحكومة عن مصابين اصابوا من عيالهم

”والذين خالطوا المصابين كانوا يعزلون في ابنة كبيرة كل فريقي منهم على حدة لا يخلط الرجال بالنساء ولا عائلة منهم باخرى ويبقون تحت المراقبة ستة ايام يقدم لهم فيها الطعام الجيد والذين كانوا منهم من العمال المكتسبين دُفعت اليهم اجور بدل منعهم من العمل . ولم يظهر الوباء الا في اثنين منهم وكان ظهوره قبل آخر اليوم الثاني من عزلم ولذلك غيرنا طريقة العزل حينما قل قلقت الناس وقل الخوف من انتشار الوباء بهربهم من مكان الى آخر فصرنا نسمح للعائلة التي خالطت المصاب بان تطهر في وامعتها كلها وبقى نساؤها وارادها في البيت ويعرض رجالها للتسبير انفسهم مرتين في اليوم على طيبب القسم الذي هم فيه

”وظلت الحوادث تحدث في كل شهر مايو ولكننا بقينا مالتكن ناصية الوباء . وزادت حوادثه في اوائل شهر يونيو لانه ظهرت حوادث جديدة في حي العرب وفي الاكواخ مجتمعة قرب معمل الغاز . واستمر الوباء في هذه الاكواخ استمراراً الجاً مصلحة الصحة الى حدها وبنائها غيرها في مكان صحي فهدمت وكانت من الخشب ونقل خشبها الى مكان غربي حي العرب وبنيت فيه . وخيف اولاً من ان جرائم العدوى تكون لاصقة بهذة المواد فيظهر الوباء في الاكواخ التي تبني منها ولذلك جمع العمال كل ما وقع منها من الحطام وقت هدمها وحرقوه . وبقوا تحت المراقبة وغسلت ايديهم واقدامهم بالمطهرات . ولم يظهر الوباء في هذه الاكواخ بعد ذلك ولا ظهر في العمال الذين هدموها

” اما اصل العدوى وطريق وصولها الى بورت سعيد فلا يعلمان تماماً لانه لم نعلم ادلة قاطعة على ذلك . ولكن هذه المدينة معرضة تمام التعرض للوباء حتى يُعجب من عدم دخوله اليها قبل ذلك الحين فانها واقعة بين المشرق والمغرب والسفن الآتية من البلدان الموبوءة تصل اليها كل يوم واهاليها من وطنيين واوريبيين يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع هذه السفن بالبيع والشراء فمن الغريب انها بقيت سليمة من الوباء مدة طويلة

” وايضاحاً لذلك نقول ان سكانها الوطنيين اكثرهم من الفقامين الذين يحملون القمم الى السفن المارة بمدينتهم فهم في اتصال دائم مع السفن الآتية من المواني الموبوءة . وتأخذ

السفن منها كثيرين من الوقادين رتدياً قائم لهم وهم وقد نكف في طريقها في مؤانفي ونبوة او يدخلها اناس مصابون بالوباء. ونوتية قوارب المؤونة وعدددهم كثير جداً ينجرون مع كل السفن الواردة على بورت سعيد من غير تمييز. ولا يخفى ان العدوى قد تكن في مكان معاً شددت المراقبة الصحية فيمكن نقلها من السفن الى البر بالفحامين او الوقادين او نوتية قوارب المؤونة وعليه لا يجيد الوباء اقل صعوبة في دخوله هذه المدينة

”ثم ان بورت سعيد كانت في اوائل العام متصلة بسورية واسيا الصغرى والبحر الاسود وجزائر اليونان وأعلن رسمياً وجود الوباء في السواحل السورية بعد ذلك. فمن المحتمل ان العدوى بلغت بورت سعيد من مكان اقرب اليها من الهند

”ولكن ان كانت هذه الظنون لا تعني شيئاً اذا لم توجد الادلة القاطعة بما يتبعه عن الطريق التي يمكن ان تدخل بها العدوى لا يخلو من النفع. وتعيين طيب في بورت سعيد وتسجيل اسماء الداخلين قد يفيدان في تقليل الخطر بازدياد المراقبة. واذا عمل بحال المذكورة المرفوعة في

٢٨ اغسطس وهو مراقبة الوقادين امكن منع دخول العدوى بهم  
”وتبقى مسألة الفحامين وهي مسألة كثيرة المصاعب ولكن يرجى ان يوجد اسلوب يقلل الضرر الذي يمكن ان ينتج منهم على قدر الامكان

”اما مسألة فعل الجرذان في نقل العدوى فلم تجد ثبوتاً جديداً في ما شوهد في بورت سعيد. فقد وجدت الجرذان الميتة من الطاعون في جانب من المدينة ولم يظهر الوباء فيه. ووجدت جردان مطهونة في أماكن أخرى من المدينة وظهر فيها الطاعون بعدئذ

”ويظهر انه قد بولغ كثيراً في ما تنقله الجرذان والأول ان تعد في جملة الحيوانات التي ينتك الطاعون بها كما ينك بالناس لا ان يحسب لها شأن كبير في تولد الوباء ونقله ونشروه  
”وما بدله على كيفية حصول العدوى وفائدة النظافة حادثة شيخ الحرافين فان وظيفته

مراقبة الذين يحرقون الحطام والمواد الفاسدة وكان عنده دائماً برميل من زيوت العدوى ليغسل به يديه وقدميه وايادي رفاقه واقدامهم واعطي حذاءه لكي يحثي به فضل المشي حافياً قائلاً انه اسهل عليه. وفي السابع عشر من مايو ترك عمله الظاهر ووجد في المياه فاقد الشهور فنقل الى المستشفى وفيه طعنة كبيرة ثم مات من الطاعون الدبلي دلالة على ان العدوى وصلت من بعض المواد الملتصقة التي اتي بها ليجرق

”واصيب في بورت سعيد ٩٢ بالطاعون اثنى بخمسة وسبعين منهم الى المستشفى ووجد ١٢ موتي خارج المستشفى ومات من الذين دخلوا المستشفى ٢١ اي مات ٢٨ في المئة من الذين غلبوا واذا

اضفنا اليهم الذين وجدوا موتى خارج المستشفى اي لم يعالما بلغ عدد مريبي في المدة  
 "وإذا اخرجنا من عدد هؤلاء كل الذين ماتوا من قصور القلب عن قضاءه وظيفته  
 قل عدد الوفيات من الطاعون قد يكون كثيراً جداً فان كثيرين ماتوا وهم في دور النقاه لانهم  
 جلسوا او مشوا او عملوا عملاً آخر ظنفاً شعروا انهم قادرين على عمله

"اما من حيث المنازل التي يقيم فيها المظعونون فوجد ان أكواخ القصب والحصر مثل  
 الاكواخ التي يقيم فيها المصطافون في رأس البر تقام بسرعة وبقليل من النفقة وهي وافية بالفرض  
 يوضع فيها المظعونون ويعالجون في ايام القيظ واذا اشتد الحر سهل وضع سقف آخر لها فوق  
 سقفها تخفيفاً للحر. واذا وقع المطر واشتد البرد امكن تبطينها بالطين والقش

"والاكواخ التي اقتناها في بورت سعيد استعملناها للاوربيين الذين ضاق عنهم المستشفى  
 الاميري الى ان تم مستشفى اليونان ومستشفى الطليان

"وقد جرى بناجانياً من المصل الواقي الذي صنع في القاهرة حسب اسلوب هفكن وطعمنا به  
 بعض المصابين في المستشفى وبعض المظيرين ولكن لم نستطع ان نصل الى نتيجة قطعية لاسباب  
 معلومة ولم يطلب احد ان يطعم به من تلقاء نفسه"

وابيح الاهالي ان يتركوا المدينة ويذهبوا الى حيث يشاؤون ولم يوضع حولها نطاق صحي  
 ولكن روقب الذين ساروا منها في القوارب بطريق بحيرة المنزلة الى دمياط والمطرية وغيرها  
 من المدن التي على شاطئ البحيرة اعتقاد ان الناس الذين يهاجرون المدينة وبهم الوباء يفضلون  
 هذا الطريق على سكة الحديد مخافة ان يكشف امرهم

وكل الذين وصلوا الى دمياط والمطرية من بورت سعيد كانوا يراقبون طبيباً يغسأون  
 وتطهر ثيابهم ويقون في بيوتهم تحت المراقبة سبعة ايام فكشفت عدة حوادث مشبه فيها في  
 دمياط ولكن لم يوجد ميكروب الطاعون الا في واحدة منها ويحتمل ان غيرها كان من  
 الطاعون ايضاً ولكن الطعنات كانت قد تقيحت فيستحيل اكتشاف الميكروب فيها. ولم يسمح

لاحد ان يسافر في بحيرة المنزلة من بورت سعيد الا الى دمياط والمطرية  
 ثم اقيمت نقطة طبية في كبوتي على بحيرة المنزلة قرب بورت سعيد لمنع من فيهم اعراض  
 مشبه فيها من السفر

وراقب اطباء الصحة الناس مراقبة دقيقة في كل مديريات الوجه البحري. وقد بلغ  
 مصلحة الصحة خبر اناس كثيرين مشبه فيهم من اماكن مختلفة ولكن الفحص البكتيريولوجي لم  
 يثبت وجود الطاعون في احد منهم

وعانى رجال الصحة المشاق في بورت سعيد وقام عليهم الغوغاه مرة او مرتين ولكن لم يتحدث من ذلك ضرر كثير. وكان اشد المقاومة من الاوربيين لان الوطنيين. واهالي بورت سعيد يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع السفن المارة بهم فقلّت اعمالهم مدة الوباء لانه لم يسمح لاحد من الركاب ان ينزل في مدينتهم حينئذ. فحسبوا ان خسارتهم سببة عن رجال الصحة لا عن الحجر الصحي الذي وضعته البلدان الاخرى على السفن الواقعة في بورت سعيد. وزاد جهلهم لحقيقة الحال بالمقالات التي كانت تنشر في الجرائد المحلية وبهان بها رجال الصحة وبهزأ بهم الاسكندرية - لم يتحدث في الاسكندرية حادثة مشبه فيها حتى ٧ مايو اذ ماتت امرأة في حي الفرموص وشيخ ابن روتها انها ماتت بالطاعون. وكانت هذه المرة الاولى من جماعي الخرق وفي الحي الذي وجدت فيه مائة مخازن كثيرة للخرق. ثم حدثت حوادث اخرى في ذلك الحي بينها قترات قصيرة وحدثت حوادث اخرى في احياء اخرى والفترات بينها قصيرة حتى لم يكذب بقي حي من احياء المدينة لم يتحدث فيه حادثة او حادثتان. الا ان الوسائط الفعالة كانت تستاصل شافة الوباء حالاً. وقد بقي الوباء في المدينة زمناً طويلاً وكفى لم يبلغ مبلغاً عظيماً وسبب ذلك ان كل حادثة كانت تتبع جيداً ويزول كل من اتصل بها من جري التطهير على اتم ما يكون

وبلغت الحوادث كلها من ٨ مايو الى ١٣ نوفمبر وقت آخر حادثة أعلنت بها مصلحة الصحة ٣٨ حادثة انتهى ٢٠ منها بالموت

وحالما علمت الحادثة الاولى اجريت التدابير الصحية التي وقت بالمراد في العام السابق ولا يزال كثير منها جارياً وسيبقى جارياً السنة كلها - وانه ظهر الطاعون او لم يظهر بشكل مراقبة الركاب الاتيين من موافي البحر المتوسط ومراقبة كل الفنادق الحقبيرة والقهوانة ويصعب علينا ان نتحقق ما اذا كان الطاعون قد ظهر في الاسكندرية سنة ١٩٠٠ من عدوى بلغتها جديداً او من عدوى كانت كامنة فيها

ولا يخفى ان بين الاسكندرية وازمير وبيروت ونحوها من المواني تجارة واسعة. واعلن وجود الطاعون في ازمير بعدما اعلن وجوده في بورت سعيد بزم قصير بين اليونانيين. والاخبار الواردة من ازمير في هذا الشأن قليلة. وجزء وع ذلك علم انها قد حدثت عدة حوادث اخيراً في جوارها من مرض معد له اعراض رئوية قتالة وقد شخص اطباء الصحة هناك انه الانفلونزا الخبيثة. الا ان وصف هذه الحوادث يدل على انها مثل الطاعون الرئوي لاسيما وان تشخيصها لم يؤيد بالفحص البكتيريولوجي. وقد ذكر قبلاً ان الاطباء في بورت سعيد

شخصوا الحوادث الأولى التي شاهدها من حوادث الطاعون بالانفلونزا الدماغية والانفلونزا  
المصحوبة بالفاغوس

وكل الوسائل التي رآها رجال الصحة لازمة استعملت في الاسكندرية من غير تمب  
ولكن ما دام الوباء موجوداً في موافق كثيرة شرقي القطر المصري وغربية فلا يبعد ان يظهر  
فيه من وقت الى آخر ولو ثبت نجاح الوسائل التي استخدمت في الاسكندرية وبورت سميد  
سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ولذلك احسنت الحكومة الخديوية بمخها مبلغاً من المال هذه السنة  
لينفق على الوسائل الواقية من الوباء لانه اذا عرفت الحادثة الأولى التي تحدث في مدينة من  
مدن القطر المصري البحرية واتخذت الوسائل اللازمة حالاً فلا اظن ان الوباء ينتشر بعد  
ذلك انتشاراً كبيراً

واستلفت انظار فخامتكم في ختام هذا التقرير الى الاعمال العظيمة التي قام المستر غرام  
والماجور غارنر والدكتور بتر والدكتور غوتسلك لاستئصال الوباء في بورت سميد والاسكندرية  
خدمة للحكومة الخديوية ( الامضا ) ٥ . ٥ بتشفغ

## رواية أمينة

### الفصل السادس

جاء شهر رمضان . الصوم نهاراً والولائم ليلاً . تزارر الاصدقاء والخللان ومغرت السفن  
في البيوغاز نقل الشبان وهم يبتون و يطربون والهوام يرقبهم من وراء الشبايك ويرشقهم  
بالازهار والرياحين . ووقدت المصابيح الكثيرة في حوانيت بيرو . وتواتت الليالي الراقصة في  
شكلي بعد ان كان منذ سنوات قليلة من اقل الاحياء عمارة . هذه المراقص قدى في عيون  
الهوام لانهم محرومات من الذهب اليها ولان كثيرين من الشبان عكفوا عليها وتركوا عاداتهم  
القديمة الذهب في القوارب ونشد اناشيد الحب والغرام

ظهرت مجالي الزينة في كل القصور ما عدا قصر نصر الله باشا لان نافذ بك لم يكن قد  
تعافى . شفي من مرضه وذهب الى السر عسكرية مرتين ولكنه كان لا يزال ضعيفاً جداً لا  
يستطيع الخروج ليلاً

كانت الليلة الثالثة من رمضان وكان الحر شديداً فلم تكد تنهض عن الطعام حتى  
خرجنا الى الحديقة ووضعت المصابيح في الرواق فاتانا من نورها ما بكفي ليرى بعضنا بعضاً .